

فنون المشرق الإسلامي

د منى عثمان الغباشي

الفرقة الرابعة قسم الآثار شعبة الآثار الإسلامية

محاضرة فن صناعة وزخرفة المعادن

ازدهر فن صناعة وزخرفة المعادن في إيران من القرن ٨هـ/ ١٤م بعد الفتح المغولي إلا أنه لم يحدث في هذه الصناعة تطورات غير طبيعية إذ سارت على نهج الأساليب السلجوقية التي ازدهرت في إيران في القرن ٦ - ٧هـ/ ١٢ - ١٣م والذي ازدهر في الموصل وانتشر منها إلى دولة المماليك في مصر وسوريا، ومع ذلك فقد اتخذت التحف المعدنية طابعاً خاصاً فقد اختلفت عن التحف المملوكية في عدم تمثيل الرنوك المملوكية وهى الشارات العسكرية وغير العسكرية للمماليك، حيث لعبت هذه الرنوك دوراً هاماً ما في زخرفة المنتجات المملوكية عامة والتحف المعدنية بصفة خاصة . أما معادن إيران فقد خلت من هذه الرنوك إذ لم يعن ملوك المغول وأمراؤهم باستعمال رنوك لهم لانشغالهم بأحوال البلاد السياسية والاقتصادية فلم يعيروا الناحية الفنية الكثير من اهتمامهم . وليس معنى ذلك أن التحف المعدنية المغولية لم تتفرد بصفات خاصة تجعلها قاصرة على إيران وحدها. فهناك عدد من التحف ذات كتابات تتضمن ألقاب حكام إيران المغول والنادر منها يحمل أسماء البعض منهم.

هذا إضافة إلى هجرة كثير من الصناع وخاصة صناع المعادن من الموصل أو المدن الإيرانية الأخرى إلى مصر وسوريا وآسيا الصغرى أمام هجمات الغزو المغولي. على الرغم من تأثير مدرسة الموصل على الصناعات المعدنية في بغداد وإيران إلا إن هذه الصناعة قد أصابها التراخي في الدقائق الفنية على الرغم من بث حياة جديدة؛ فقد أصبح بدن الآنية غليظاً سميكاً مغطى بنقوش محفورة بشكل مضطرب.

كما حدث تدهور في الزخرفة بالتكفيت في أواخر القرن ٨هـ/ ١٤م وبداية القرن ٩هـ/ ١٥م في الوقت التي كانت مزدهرة في العراق ومصر والشام في العصر المملوكي.

لذا بدأ يظهر أسلوب جديد في صناعة التحف المعدنية الإيرانية في القرنين ٨ - ٩هـ/ ١٤ - ١٥م أي في العصرين المغولي ثم التيموري والذي يعتبر بداية عصر نهضة فنية جديدة عظيمة اكتملت وأنت أكلها في العصر الصفوي.

وتميزت التحف المعدنية بقلتها في القرنين ٨ - ٩هـ/ ١٤ - ١٥م إلا أنها تعكس هذا الأسلوب الجديد في أشكال الأواني المعدنية فقد استعملوا أشكالاً لم تكن معروفة من قبل، وتساعد صور

المخطوطات على دراسة هذه التحف المعدنية حيث أنها قد حفظت لنا الكثير من أشكالها وزخارفها. ومن نماذجها:

- مجموعة من الشماعد باسم تيمورلنك مؤرخة بسنة ١٣٩٧م وهي من البرونز المكفت بالذهب - منها واحد بمتحف الأرميتاج وهو ذو زخارف الأرابيسك وأشرطة كتابية عربية وفارسية واسم الصانع عز الدين بن تاج الدين الأصفهاني في رمضان سنة ٧٧٩ هـ .



- شمعدان من النحاس المكف بالفضة والذهب مؤرخ بسنة ٧٦١هـ/ ١٣٦٠م بمتحف الفن الإسلامي بمجموعة هراري: قوام زخرفته أشرطة أفقية ذات زخارف هندسية ونباتية يقطعها جامات مستديرة يخرج منها أربع دوائر صغيرة، وعليه شريط كتابي بخط النسخ نصه " عمل العبد الأضعف محمد بن رفيع الدين شيرازي في تاريخ جمادى الأول سنة إحدى ستين سبعمائه". ونسبة هذا الشمعدان إلى إيران من حيث الزخارف وتوقيع الصانع وأنه من مدينة شيراز، ومن حذف "ال" من النسبة إلى شيراز والتي جاء فيها لفظ " الأضعف" وهو من الألفاظ المستعملة في الكتابات على التحف والآثار الإيرانية والهندسية الإسلامية .



- طست من النحاس الأصفر المكف بالفضة من أوائل القرن القرن ٨هـ/ ١٤م بمتحف الميتروبوليتان: قوام زخرفته أشرطة من مناطق تخرج من مركز واحد وتضم رسوم أشخاص

يحملون السيوف والسهام والأقواس وكؤوس الخمر، ومناظر موسيقيين وصيد وأمرأء يجلسون فوق عروشهم، فضلاً عن رسوم أزواج عقبان وحيوانات خرافية رؤوس آدمية والرسوم النباتية القريبة من الطبيعة. وكان يُنسب هذا الطست إلى العصر المملوكي إلا أن زخارفه عكست طابعه المغولي.



- طست من النحاس المُكفت بالذهب والفضة القرن ٨هـ/١٤م بمتحف برلين: قوام زخرفته رسوم آدمية تمثل مناظر البلاط واللعب بالصوالجة والفرسان وغيرها حصر بعضها داخل جامات مُستديرة على أرضية نباتية.

- طست آخر من النحاس المُكفت بالذهب والفضة القرن ٨هـ/١٤م بمتحف الفن الإسلامي: قوام زخرفتها رسوم آدمية داخل جامات مُستديرة وكتابات نسخية داخل جامات مستطيلة.

- طست ثالث من النحاس ذى زخارف محفورة ومكففة بدار الآثار العربية ببغداد من القرن ٨هـ/١٤م.



- مقلمة من البرونز المُكفت بالذهب والفضة المؤرخة

بسنة ١٣٠٠م وهى شمال غرب إيران الأناضول: وهى غنية بالزخارف الهندسية والنباتية.

نماذج العصر التيموري:



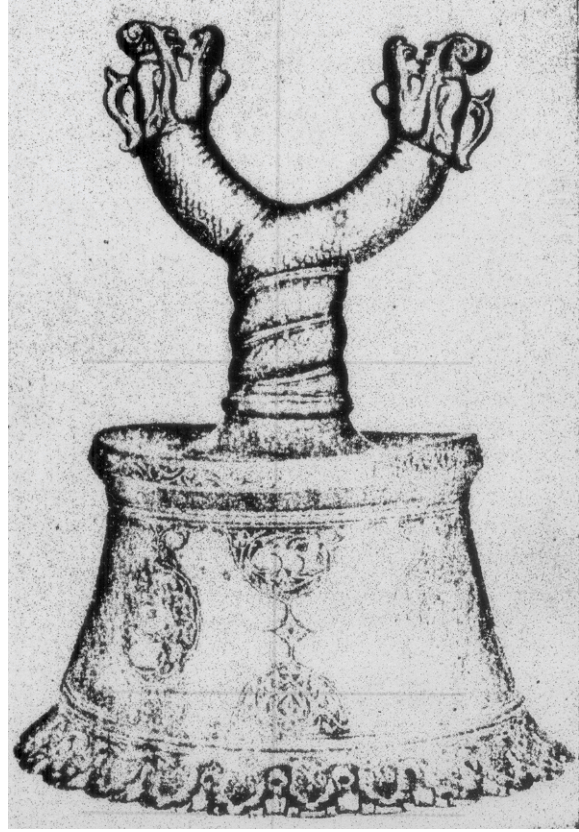
- إبريق من النحاس المُكفت بالذهب والفضة القرن ٩هـ/١٥م بمجموعة من كلكيان: قوام زخرفته أشكال هندسية أشبه بقرص النحل يتخلله جامات مستديرة ذات رسوم نباتية وأشرطة كتابية بالقاعدة .

- وصلنا عدة شمعدانات من القرن ٩هـ/١٥م وهى ذات زخارف نباتية على غرار زخارف القرن ٨هـ/١٤م ولكنها ليست كثيفة أو مزدحمة منها :

(١) شمعدان من النحاس المُكفت بالذهب والفضة بمجموعة ستورا وهو ذو أشرطة يتخللها جامات لوزية ومستطيلة ذات كتابات.



٢) شمعدان من النحاس ذى الزخارف
المحفورة بمتحف الأرميتاج: وتتميز رقبته
بأنها أشبه بصغيرة أو على هيئة ثعابين
ملتقيين ليخرج كل منهما لأعلى مكوناً
بفوهته بيت الشمعة، وزخرف البدن بجامات
وأنصافها برسوم نباتية وتنتهي القاعدة
بشريط أشبه بالشرافات.





- قدر من البرونز المكفت بالذهب والفضة مؤرخ بسنة ٨٦١هـ/١٤٥٦م بالمتحف الإسلامي ببرلين الغربية: وهو ببدن كروي ورقبة متسعة وقاعدة منخفضة وزخرف بسبعة أشرطة أفقية دائرية ذات زخارف نباتية يتخللها شريطان بخط النسخ على الرقبة والبدن تضم اسم الصانع " حبيب الله بن علي بن البيرجندي" الذي له قدر آخر بمتحف فيكتوريا وألبرت مؤرخ بسنة ١٤٦٢م، وقد صنع قدر برلين لإسكندر بن محمود ميرزا ، وربما صنع في هراه في أفغانستان الصفوية.

وتعكس نماذج الطي القليلة المغولية والتميمورية تقدم صناعة الحلي كما في خاتم صنع في هراه سنة ٨٣٤هـ/١٤٣٠م منقوش بزخارف نباتية وشريط كتابي شكل على هيئة تنينين.

- ووصلنا عدة نماذج من التحف المعدنية الحربية مثل الدروع الحديدية للإنسان ودروع للفرس والخوذات وهي ترجع إلى القرنين ٨-٩هـ/١٤-١٥م.

التحف المعدنية الصفوية:

استخدم فنانو العصر الصفوي الأساليب الصناعية في زخرفة المعادن التي ورثوها عن العصور السابقة وخاصةً صناعة تكفيت التُحف المعدنية الذُحاسية بالفضة، ولكنهم أسرفوا في ترصيع الأواني المعدنية بالأحجار النفسية مثل الياقوت، الزبرجد، الزمرد، والفيروز وحبّات اللؤلؤ. ومن حيث المواد الخام فلقد استخدموا النحاس الأصفر وأصبح في عصرهم أكثر لمعاناً وأكثر ميلاً إلى اللون الذهبي. واستخدموا النحاس الأحمر وكانوا يطلونه بالقصدير تقليداً للون الفضة كما شاع استخدام الحديد والصلب في ذلك العصر؛ حيث أظهر الصُناع براعة فائقة في استخدامهما وصنعوا منهما مُنتجات جيدة لا تقل في أسلوبها عن مُنتجات العصور السابقة.

وتدل الزخارف على التحول الذي حدث لأساليب هذا العصر، فقد غلب عليها رسوم الفروع النباتية والرسوم الآدمية والحيوانية التي تذكرنا برسوم السجاجيد وصور المخطوطات الصفوية كما انحصرت رسوم الأشرطة الزخرفية وصار سطح التحفة مغطى برسوم متصلة كأنها الوشى أو التطريز محصورة في قنوات رأسية أو حلزونية أوفي مناطق ذات زخارف صغيرة الحجم، كما كانت معظم التحف المعدنية الصفوية تحتوي على كتابات تشتمل على شعر فارسي أو عبارات دعائية وقد يكون فيها اسم الصانع أو تاريخ الصنع أو اسم من صنع باسمه.

أشكال الأواني: وتقدر الإشارة إلى أن العصر الصفوي امتاز بعدد وافر جداً من الأواني الفضية والذهبية أثار دهشة وإعجاب الرحالة وبخاصة في قصور الشاه ورجال البلاط على أن قيمة مثل هذه التحف من الناحية الفنية ضئيلة إلى حد ما ولاسيما أن بعضها كان يزين بالجواهر والمينا يستعمل في الحفلات وسائر المناسبات العظيمة. هذا مع اختفاء الأواني المشكلة على هيئة الحيوانات التي أقبل عليها صناع المعادن في إيران طوال العصر الإسلامي.

ولقد تنوعت التحف المعدنية في العصر الصفوي والتي تحتفظ بها المتاحف العالمية فمنها الأواني المختلفة من قدور وسلاطين، الأحزمة، الشمعدانات، مساطر أو ألواح من الصلب، صفائح تُغشي الأبواب والصناديق والأسلحة.

هذا إضافةً إلى أواني الفضة المُكفّنة بالذهب والأحجار الكريمة كالياقوت والفيروز والزمرد والمحفوظة بمتحف طوبقابي سراي والتي كانت جزء من غنائم السلطان سليم الأول في حروبه ضد الشاه إسماعيل الصفوي سنة ١٥١٤م.

وقد عكست رسوم التُحف المعدنية في تصاوير المخطوطات الصفوية أن هذه الصناعة قد وصلت إلى مبلغ الفخامة والأبهة في القرن ١٠هـ/١٦م. أما التُحف المعدنية في القرنين ١١-١٢هـ/١٧-١٨م فقد احتفظت بالموضوعات الزخرفية المحورة الصفوية.

ولقد انتشر أسلوب المدرسة الصفوية لصناعة وزخرفة المعادن إلى الهند شرقاً وإلى البندقية غرباً حيث بلغ أسلوب الفنان "محمد الكري" في صناعة المعادن، الذي ورثه عنه تلميذاه زين الدين منصور بن يونس وقاسم اللذان رحلا إلى هناك درجة من الكمال يعز على الآلة في القرن العشرين والواحد والعشرين الآتيان به. ومن أمثلتها:

١- قدر من البرونز المكفت بالفضة والذهب مؤرخ بسنة ٩١٠هـ/١٥٠٥م بالمتحف الإسلامي ببرلين الغربية: قوام زخرفته زخارف الأرابيسك النباتية يتخللها بحور من الكتابات الفارسية بخط النسخ يضم اسم الصانع وتاريخه نصه " كاتبه وناقشه وفارغه علاء الدين وشمس الدين محمد البيرجندي في شهر شوال سنة عشر وتسعمائة " وهذا القدر من أفغانستان.



كما أن لهذين الصانعين علاء الدين وشمس الدين محمد البيرجندي قدر آخر مؤرخ بسنة ٩٠٨ هـ/١٥٠٣م. مما يعكس أن عائلة البيرجندي كانت مشهورة في صناعة التحف المعدنية المكفّنة وخاصة ظهور اسم الصانع "حبيب الله بن علي بن البيرجندي" على قدرين ببرلين ومتحف فيكتوريا وألبرت من النصف الثاني من القرن ١٩هـ/١٥م.



٣ إناء أو طست من النحاس سنة ١٠٣٠هـ/١٦٢١م بمتحف فيكتوريا وألبرت وهو ذو رسوم حيوانية على أرضية نباتية.



- سلطانية من النحاس المكفت بالذهب والفضة القرن ١٠هـ/١٦م (لوحة ١٠٤) : وزخرفت من الداخل ومن الخارج بكتابات نسخية باسم الأئمة الاثنى عشرية أسفلها شريط عريض ذي كتابات يقطعها أشكال داخلها مناظر آدمية وحيوانية.
- عدة سلاطين أخرى باسم الأئمة الاثنى عشرية من النحاس المكفت من أواخر القرن ١٠هـ/١٦م وأوائل القرن ١١هـ/١٧م.

- ٧- إناء من النحاس ذي زخارف محفورة القرن ١١هـ/١٧م في مجموعة نجمان: وهو أشبه بالدلو ببدن كروي ينسحب من أسفل يستدق بشكل أسطواني لينتهي بقاعدة مُستديرة والفوهة مُستديرة بها عروتان يعلق بها المقبض وهو ذو زخارف نباتية.



- طستٌ مُخصص لوضع الإبريق عليه بداية القرن ١١هـ/١٧م من إيران أو الهند بمتحف اللوفر: وهو من النحاس المكفت بالفضة، وهذا الطست والإبريق كان مُخصصاً للوضوء قبل الصلوات وبعد الواجبات لغسل الأيدي ولكن إبريقه فقد، ويتكون من حوض دائري مُسطح تبرز جوانبه قليلاً لأعلى بشكل مقوس بزخارف نباتية ويتوسطه مصفة مخصصة لوضع الإبريق عليها ولنزول الماء إلى البدن الكروي الذي يتصل بالحوض برقبة صغيرة ويستدق من أسفل لينتهي

بقاعدة مُستديرة، وزخرف البدن بنفس الرسوم النباتية المغولية الطراز. ولقد شاعت هذه الطسوت في الهند وتركيا وكان من عادة الأسر الثرية تخصيص خادمين لهذا الحوض.

الأباريق: امتازت معظم الأباريق الصفوية بأناقة الشكل وإتقان الزخارف النباتية والتضليعات الحلزونية منها:



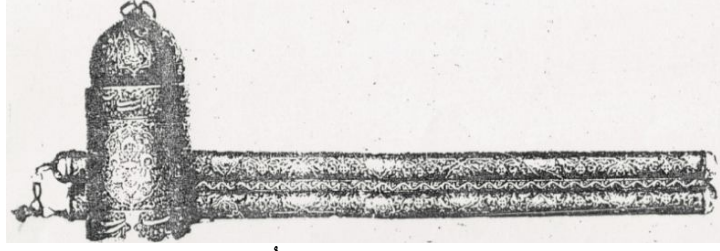
- إبريق من البرونز القرن ١٠هـ/١٦م بمتحف اللوفر: وهو ذو بدن كمثري مضلع بخطوط وقاعدة مخروطية قمعية صغيرة ورقبة مخروطية يتوسطها بروز دائري تنتهي بفوهة بيضاوية الشكل يبدو أنه كان لها غطاء، وله مقبض يتصل بالفوهة وهو دائري يحدث به انكسار ليلتصق بالبدن ، وفي مواجهته بروز طويل أعلى من الفوهة.



- إبريق من النحاس المكفت بداية القرن ١١هـ/١٧م بمتحف اللوفر

- إبريق نحاسي القرن ١١هـ/١٧م بمجموعة دكتور بتلر: وهو ذو بدن بصلي مضلع بخطوط مضلعة موروكة بقاعدة مُستديرة مفرغة، ورقبة مخروطية طويلة تتوج بفوهة كروية يتصل بالمقبض الرفيع الطويل المتصل بالبدن وبرزوز طويل ينتهي بفوهة على شكل رأس حيوان.





المقال: مقلمة من النحاس المحفور والمكفت بالفضة بمتحف بناكي بأثينا القرن ١١هـ/١٧م: وهي تختلف عن المقال السابقة ذات العلب المستطيلة ، حيث تتكون من علبة أسطوانية بغطاء مقبي على هيئة نصف دائرية يتصل بها مقبض طويل من قضيبين أشبه بأنبوبيتين مخصصة لوضع الأقلام وخاصةً أنها ذات نهايات أو أغطية مقبية، وبذلك تكون العلبة الأسطوانية هي المحبرة المخصصة لوضع الحبر وتُزخرف برسوم نباتية دقيقة ورسوم على هيئة السحب الصينية تشي فضلاً عن كتابات بالخط الفارسي الجميل .

الشماعد:

اتسمت الشماعد الصفوية بشكل مميز فهي عبارة عن عمود أسطواني يتسع من أسفل لينتهي بقاعدة مستديرة وهذا البدن ذو حلقات دائرية بارزة متباعدة أحياناً، تقسم البدن إلى عدة أقسام وينتهي البدن بفوهة دائرية بارزة للخارج ويغطي بغطاء مقبي على هيئة نصف دائرة يبرز من قمته رقبعة صغيرة يعلوها شكل قمع يتوسطه بيت الشمعة. وتميزت الشماعد الإيرانية بزخرفتها بنقوش من الشعر الإيراني من قصة "الفراسة و الشمعة" والزخارف النباتية المورقة والزهرة التي تغطي السطح كله عادة ، وأحياناً تتحصر داخل مناطق منفصلة. ومن أمثلتها:

١٥- شمعدان من النحاس القرن ١٠-١١هـ/١٦-١٧م بمتحف الفنون بالأرميتاج: وهو شمعدان كامل وذو زخارف هندسية ونباتية .



- شمعدان نحاسي مؤرخ بسنة ١٥٨٧ - ١٥٨٨م من غرب إيران
بمتحف اللوفر بباريس: وهو ذو بدن أسطواني مصلع، وزخرف برسوم
الأرابيسك المنحوتة وكتابات فارسية صوفية.



الكشكول : الكشكول عبارة عن علبة ببيضاوية الشكل من المعدن مثل الذهب أو الفضة أو النحاس وعليها نقوش محفورة حفرًا بارزًا أو غائرًا، كما يوجد عليها نقوش أخرى مكفّنة بالذهب والفضة. وأحيانًا كانت تصنع هذه العلب من خشب الساج الهندي .

وتُعرف هذه العلب في الفارسية باسم كشكول وهي علب يجمع فيها المتصوفون من الشيعة ما يجود به المحسنون عليهم فينقون منه النزر اليسير على أنفسهم خلال حياتهم، ويرسل الباقي بعد مماتهم إلى عتبات الأئمة المشرفة. وفي بعض الأحيان يهدي المتصوف كشكوله بما فيه من المال عند زيارته للعتبات المقدسة، وفي أحوال أخرى كان الكشكول يتوارثه متصوف عن آخر إذ لم يكن قد امتلأ ، ولذلك نجد على الكشكول الواحد عدة تواريخ. ومن أمثلتها :



٢٠- كشكول من القرن ١١هـ/ ١٧م وهو ذو غطاء وعروتين تعلق فيها ثلاث سلاسل للتعليق منها وهو ذو زخارف نباتية وجامات كتابية.

٢١- كشكول نحاسي نهاية القرن ١٠هـ/ ١٦م.

الأسلحة المعدنية الصفوية: نالت صناعة الأسلحة رعاية وعناية فائقة في العصر الصفوي، وكانت هذه الأسلحة بمختلف أنواعها تكفت بالذهب والفضة وكانت تزين بالرسوم الجميلة، وأحياناً كانت ترصع بالأحجار النفيسة أو النادرة .

وقد تنوعت هذه الأسلحة من خوذات، دروع وخاصةً درع جديد اسمه "جهار آينه" أي المرايا الأربع ، درقات، تروس، سيوف وخناجر. مما يبرهن على ازدهار صناعتها في عصر الصفويين.

- الأعلام :



علم من الحديد والكربون من القرن ١٠هـ/١٦م: وهو على هيئة قرص كمثري الشكل بزخارف كتابية مفرغة تنص على " يا الله يا محمد يا علي" وهي مكررة وموزعة بشكل متماثل، ويرتكز هذا القرص على قائم معدني ويخرج من هذا القرص من أعلى قرنين حادين أشبه بنصل السيف أو الخنجر يتوسطهما شكل كأس يعلوه قائم وعلى كل من جانبيه تتين وعلى كل من جانبي القرن أو الخنجر نتوء بارز يحمل شكل ذئب.

ويتضح من شكل هذا العلم بالخنجرين يشكل سيف ذو الفقار أي ذو الحدين الذي أهداه الرسول صلى الله عليه وسلم للإمام " علي كرم الله وجهه ، كما أنه فرغ كلمة " علي " على شكل أسد وقام برسم حرفي العين بالكلمتين على شكل عين الأسد وهذا إشارة إلى لقب الإمام علي وهو "حيدر" أي الأسد. وكان هذا العلم يستخدمه الجنود في الجيوش والحروب وهذا العلم يعكس المذهب الشيعي للصفويين.



- حلية زخرفية من الحديد بزخارف مفرغة عبارة عن جامعة لوزية مفصصة داخلها شعار الشيعة " لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله " في أربعة أسطر بخط الثلث من القرن ١١هـ/١٧م .

عزيزي الطالب يجب عليك الآتي:

- ١- شرح النماذج بالتفصيل مع مقارنتها بغيرها في باقي العالم الإسلامي
- ٢- إلقاء الضوء على الطرز الفنية والمعمارية من خلال التحف
- ٣- إلقاء الضوء على تأثير المذهب الشيعي على الفنون الصفوية
- ٤- إلقاء الضوء على الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية والسياسية من خلال هذه التحف
- ٥- البحث في كتابك ومواقع الانترنت عن مزيد من التحف